(المغالبة) ـ صيغتها و حقيقتها

د. جبار اهليل زغير

جامعة ميسان / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

توطئة:

اللغة . كل لغة . إنما هي نظام ينسجم في وجود إنساني ويتجمع في موروث اجتماعي وكيان أدبي عبر عصور متعاقبة.

وقد اتسمت اللغة العربية بسمات وخصائص تجلت فيها مكانتها الكبيرة بين لغات البشر، وإنّ كثيرا من هذه الصفات انفردت بها هذه اللغة الكريمة التي جعلها الباري (تعالى اسمه) لغة كتابه الكريم ، إذ تعدّ من اللغات الاشتقاقية الراقية ؛ لقدرتها على النحت والتصريف والاشتقاق والتوليد(١). وهي لم تعرف في تأريخ أهلها الذي سبق الإسلام أي لون من الضبط والتعقيد ، وإنما كانت تنطق على الفطرة والسليقة ، وقد أُخذت ممن سكن البادية لايقرأ ولا يكتب ولم يختلط لسانه بلسان أهل المدينة،ينقل (ابن النديم ٣٨٥هـ) عن الرياشي البصري قوله:"إنما أخذنا اللغة من حرَشة الضباب وأكَلة اليرابيع"(٢) ولا شك في أنّ عملية تدوين اللغة كانت بأساليب بدائية إذا ماقيست بأجهزة التسجيل والمخابر الصوتية الحديثة فقد كانوا يعتمدون على ذائقتهم الشفاهية والسمعية؛ مما يجعل من الوقوع في الخطأ والوهم أمرا ممكنا ، ولا سيما عند وضع القواعد التي أمل علماء العربية القدماء(رحمهم الله) أن تسير عليها الأجيال ومن ثَم فإنّ الدارس المحدث لايمكن أنْ يسلّم بكل مايقرؤه في كتب اللغة التراثية ومهمته تكمن في البحث في ما يشك فيه ، ومن ثَم توثيق ظاهرة ما ، أو الطعن فيها .

---

(١) ينظر : الاشتقاق (عبد الله أمين) : ١ـ ٢ .
(٢) الفهرست : ٩٢.

ومصطلح (المغالبة) . مظنة هذا البحث . من المصطلحات الصرفية التي جاءت أمثلته في أشهر كتب النحو الأولى ، ومصداقه: أنْ تُضمَّ عينُ الفعل المضارع التي حقّها الكسر لمعنى الغلَبة ، فيقال : غلَب(بفتح العين) . يغلُب(بضم العين)وهي في الأصل مكسورة.وكذا في الأفعال الأخرى التي من هذا الباب لأداء معنى الغلبة. و(الزمخشري) هو أول من سمّى هذا الباب بـ(المغالبة) ، ولعل التسمية جاءت من معنى الغلبة التي تعطيه هذه الصيغة بحسب ما ذكروا من أفعال.

وقد انطلق الباحث من الأصل اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح ومما ذكره (سيبويه) وأشهر من جاء بعده من النحويين الذين لم يخرجوا عما قاله . كعادتهم . ولم يأتوا بجديد حتى في الأمثلة التي استشهد بها والتي خلت من الشواهد القرآنية والشعرية ، أو أن يؤكد أنه سمعها ممن يوثق بعربيتهم كعادته في الاستشهاد! ؛ ولأن اللغة وسيلة أساسية للاتصال بين الناس ، ولازدياد الوعي اللغوي عند الناطقين بالعربية نتيجة اطلاعهم على اللغات والثقافات الأخرى بفعل وسائل الاتصال الحديثة فإن الوقوف على كيفية أداء اللغة لوظيفتها يحتاج إلى موقف لغوي يُستند إليه في تأصيل ظاهرة لغوية وجعلها مثالاً يحتذى(٣) ، وهذا ما لم تتوافر عليه هذه الصيغة وهذا المعنى مما دفع بالباحث إلى مناقشة حقيقة هذا المصطلح الصرفي ، من حيث الاستشهاد وأهميته في تأصيل القاعدة النحوية ، ومن ثم ربطه بالسبب الصوتي واللهجي ، ثم عرض نتائج البحث ، فقائمة بمصادر البحث ومراجعه .

المغالبة في اللغة والاصطلاح:

يدخل مصطلح (المغالبة) في ضمن مباحث علم التصريف الذي " يحتاج إليه جميع أهل العربية ، وبهم إليه أشد فاقة ؛ لأنه ميزان العربية ، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولايوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به"(٤).

والأصل اللغوي لهذا المصطلح يُظهر معنى الغلبة بعز، جاء في كتاب العين :"وعزَّ الرجل : بلغ حدَّ العزة ، ويقال إذا عزَّ أخوك فهُن ، والمعازة : المغالبة في العز" (٥). وجاء في لسان العرب

(٣) ينظر : دور الكلمة في اللغة : ١١ ـ ١٨ .
(٣) المنصف: ٢/١ .
(٥) باب العين والزاي : ١/ ٧٦ .

: "وغلَب الرجل فهو غالب ، وهو من الأضداد ، وغلَب على صاحبه،حكَم عليه بالغلبة ، قال امرؤ القيس:. .

وإنَّك لم يفخرْ عليك كفاخرٍ ضعيف ولم يغلبْك مثلُ مغلَّب

وقد غالبه مغالبة وغلابا ، والغلاب:المغالبة ، وأنشد بيت كعب بن مالك:

همَّت سخينةُ أنْ تغالبَ ربَّها ولنغلبنَّ مغالبَ الغُلاب

وإذا قالوا غلَب فلان فهو غالب"(٦).

أما في الاصطلاح فإنه يعني : "أن يغلب أحدُ الأمرين الآخرَ في معنى المصدر...نحو : كارمني فكرمتُه أكرُمه: أيْ غلبتُه بالكرم...وغالبني فغلبتُه أغلُبه..."(٧).

وأثر الأصل اللغوي واضح في الاستعمال الاصطلاحي ، إذ يعني كلاهما الغلبة والمفاخرة فيها.

صيغةالمغالبةودلالتها:

تختص الدلالة على المغالبة بأفعال ما أطلق عليه النحويون : باب (فَعَل . يفْعِل) بفتح عين الفعل في الماضي وكسرها في المضارع ، حيث تُضم عين المضارع،نحو (عازَّني فعززتُه أعزُّه،وخاصمني فخصمتُه أخصُمه ، وضاربني فضربتُه أضرُبه...) وهي في الأصل مكسورة(أعِزّ ،أخصِم،أضرِب). أما الألف في(فاعلني) فهي ألف المشاركة التي سماها (ابن جني) بـ المقاربة(٨). .

ويتضح هذا مما يقوله (سيبويه ت١٨٠هـ)في باب(دخول الزيادة في فعلت للمعاني) : "اعلم أنك إذا قلتَ : فاعلتُه ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلتَ فاعلتُه . ومثل ذلك : ضاربتُه ، وفارقتُه ، وكارمتُه ، وعازَّني وعازَزْتُه ، وخاصمني وخاصمتُه ، فإذا كنت أنت فعلتَ قلت : كارمني فكرمتُه. واعلم أن يفْعَل من هذا الباب على مثال (يخرُج) نحو عازَّني فعززتُه أعُزُّه

(٦) (غلب) : ١/ ٦٥١ .
(٧) شرح شافية ابن الحاجب : ١/ ٧٠ .
(٨) ينظر : التصريف الملوكي : ٤٣ ـ ٤٤ .

، وخاصمني فخصمتُه أخصُمُه ، وشاتمني فشتمتُه أشتُمُه . وتقول : خاصمني فخصمتُه أخصُمُه"(٩). أي أن على المتكلم أن يضم عين أفعال هذا الباب المضارعة إذا أراد إظهار معنى الغلبة ، ويُستثنى منها المثال الواوي نحو : (وعَد) ، والأجوف اليائي نحو : (باع) ، والناقص اليائي نحو :(رمى) حيث لا يمكن ضم عين مضارعهما ؛ لأنهما بالكسر دائما ، يقول (سيبويه)وهو يستثني هذه الأمثلة : "وكذلك جميع ما كان من هذا الباب ، إلا ما كان من الياء مثل (رميت و بِعت) ، وما كان من باب وعَد ، فإن ذلك لا يكون إلا على أفعِله ، لأنه لا يختلف ولا يجيء إلا على يفْعِل"(١٠) . ونُقل عن الكسائي "أنه استثنى أيضا ما فيه أحد حروف الحلق ، وأنه يقال فيه(أفْعَلَه)بالفتح"(١١) . وبقول(سيبويه):(يختلف)فإنه يشير إلى ما سماه المحدثون بـ:(المخالفة) ، ويقصدون بها : أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين فيقلب أحدهما ليختلفا ، والسر في هذا : أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد أكبر للنطق بهما في الكلمة الواحدة ، والإنسان بطبعه يميل إلى اختصار المجهود في كل شيء حتى في النطق(١٢) . وبعد ، فليس باستطاعة الناطق بالعربية أن يضم عين مضارع هذه الأفعال ، على أن هذا الباب ليس قياسا يجوز للمتكلم أن ينقل له أيَّ (فعْل) شاء(١٣)

ونظرة في أبرز كتب النحو بعد (سيبويه) . التي جاءت فيها أمثلة المغالبة . تُظهر نقل أصحابها كلام سيبويه بأمثلته،فقد قال (ابن السراج ت٣١٦هـ) وهو يتحدث عن فاعل : "وأصله أن يكون لتساوي فاعلين في (فعَل) وذلك نحو ضاربته وكارمني ، فإذا كنت أنت فعلت من ذلك ما تغلِب به وتستحق أن تنسب الفعل إليك دونه ، قلت : كارمني فكرمتُه أكرُمُه ، وخاصمني فخصمتُه أخصُمُه ، فهذا الباب على مثال : خرَج يخرُج إلا ما كان مثل : رميتُ وبِعتُ ، ووعَد ،فإن جميع ذلك : أفْعِله"(١٤).

---

(٩) الكتاب : ٤/ ٦٨ .
(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١١) المفصل في صنعة الإعراب : ١/ ٣٧٠ .
(١٢) ينظر : الأصوات اللغوية : ١٥٢ـ ١٥٣ .
(١٣) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣/ ٤٣٣ .
(١٤) الأصول في النحو : ٣ / ١١٩ .

وقال (الزمخشري ت٥٣٨هـ) :"وباب المغالبة مختص بفَعَل يفْعِل منه كقولك : كارمني فكرمتُه أكرُمُه ، وكاثرني فكثرتُه أكثُرُه ، وكذلك عازَّني فعززْتُه أعُزُّه...إلا ما كان معتل الفاء كوعَدت ، أو معتل العين أو اللام من بنات الياء كبِعت و رميت فإنك تقول فيه : إفعِله بالكسر..."(١٥).

وقال (الرضي الاسترآبادي ت ٦٨٦هـ) :"اعلم أن بنات فَعَل لخفته لم يختص بمعنى من المعاني ، بل استعمل في جميعها ؛ لأن اللفظ إذا خفَّ كثر استعماله واتسع التصرف فيه ومما يختص بهذا الباب بضم مضارعه باب المغالبة...نحو : كارمني فكرمتُه أكرُمُه ، أي غلبته بالكرم ، وخاصمني فخصمتُه أخصُمُه ، وغالبني فغلبتُه أغلُبُه..."(١٦).

إنهم معذورون في ترديدهم لأمثلة سيبويه ؛ لأن (الكتاب) أتى على جُلّ مباحث علم التصريف وأغنى المتأخرين البحث فيه ، فلم يفسروا ماوجدوه عند سيبويه . في هذا الباب . ولم يناقشوه ، إلا (ابن جني) الذي وجد فيه فصلاً من الطرافة وإثارة للاستغراب ، يقول : "وفصلٌ للعرب طريف ، وهو إجماعهم على مجيء عين مضارع فعلتُه إذا كانت من فاعلني مضمومة البتة . وذلك نحو قولهم : ضاربني فضربتُه أضرِبُه ، وعالمني فعلمتُه أعلُمُه ، وعاقلني . من العقل . فعقلتُه أعقِلُه..."(١٧). وعلل استغرابه من هذه الظاهرة اللغوية بقوله : "ووجه استغرابنا له أن خص مضارعه بالضم ، وذلك أنا قد دللنا على أن قياس باب مضارع فعَل أن يأتي بالكسر نحو ضرَب يضرِب وبابه...فكان الأحجى به ههنا إذا أريد الاقتصار به على أحد وجهيه أن يكون ذلك الوجه هو الذي كان القياس مقتضيا له في مضارع فعَل : وهو يفعِل بكسر العين"(١٨) .

ولم ينسَ أن يعلل هذا الباب . باب المغالبة . راداً إياه إلى طبع العربي الفصيح ونحيرته ، يقول : "وعلته عندي أن هذا موضع معناه الاعتلاء والغلبة فدخله بذلك معنى الطبيعة والنحيرة التي تغلب ولا تُغلب ، وتلازم ولا تفارق ، وتلك الأفعال بابها (فَعُل يفعُل) نحو: فقُه يفقُه إذا أجاد الفقه ، وعلُم يعلُم إذا أجاد العلم ..."(١٩).

---

(١٥) المفصل في صنعة الإعراب : ٣٧٠/١.
(١٦) شرح شافية ابن الحاجب : ١/ ٧٠ .
(١٧) الخصائص : ٢/ ٢٢٥ .
(١٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(١٩) المصدر نفسه : ٢/ ٢٢٧ .

وحتى المحدثون الذين ذكروا هذه الصيغة فإنهم تلقفوا أمثلة (سيبويه) كما هي،ومنهم من زاد عليها أمثلة قياسية،على أن بعضهم قد التبس عليهم الأمر . كما يبدو- حين ذكروا(المغالبة) في ضمن الباب الأول . خلافاً لابن جني والزمخشري . وهم يقسمون الفعل المجرد بحسب ماضيه ومضارعه،وحينها تكون ستة أبواب:(فَعَل . يفْعُل ، فَعَل . يفْعِل ، فَعَل . يفْعَل ، فَعِل . يفْعَل ، فَعُل . يفْعُل ، فَعِل . يفْعِل) ، في حين كان عليهم أن يفعلوا هذا لو كان تقسيمهم بحسب الماضي فقط حيث ستكون ثلاثة أبواب:(فَعَل ، فَعِل ، فَعُل) . كصنيع الرضي الاسترآبادي . ، فقالوا- وهم يتحدثون عن دلالة أفعال(الباب الأول). :"كل فعل قُصد به الغلبة في أمر تفاخر به اثنان فغلب أحدهما الآخر سواء أكان الفعل مضموم العين في المضارع على الأصل نحو:نصَرَهُ ينصُرُه،أم كان وجهه المسموع غير ذلك نحو:ضرَبَه يضرِبُه،فإنك تقول في هذين ونحوهما:(ناصرتُه فنصرتُه أنصُرُه،ضاربته فضربتُه أضرُبُه)شرط أن لا يكون الفعل المراد فيه الدلالة على المفاخرة والغلبة مما يستوجب كسر العين في المضارع،كأن يكون مثالاً واوياً مثل(وَعَد يعِد)،أو أجوف يائياً مثل(باع يبيع)،أو ناقصاً يائياً مثل(رمى يرمي)"(٢٠). وزعموا أن(الرضي) نقل عن(سيبويه) أنه قال إن باب (المغالبة)"مسموع كثير"(٢١) ، والصحيح أن هذا القول (للرضي)نفسه،يقول:"اعلم أنه ليس باب المغالبة قياساً بحيث يجوز لك نقل كل لغة أردتَ إلى هذا الباب لهذا المعنى،قال سيبويه:وليس في كل شيء يكون هذا،ألا ترى أنك لا تقول نازعني فنزعتُه أنزُعُه،استُغني عنه بـ(غلبتُه)،وكذا غيره،بل نقول:هذا الباب مسموع كثير"(٢٢).و(سيبويه) لم يقل هذا وهو يتحدث عن (المغالبة)(٢٣).وبعض من المحدثين جعل من(المغالبة)معنى من معاني(فَعَل) المجردة (٢٤).

إن ما تنبه إليه (ابن جني) حين أبدى استغرابه من (المغالبة) واصفا إياها بالطرافة يثير في الباحث شكاً في صحة هذا الباب واقعا لغويا تداولته الألسن على نطاق واسع؛لسبب مهم هو أن النصوص التي أراد بها(سيبويه) . وأشهر من جاء بعده من النحويين . تأصيل هذا الباب كانت خلواً من الشواهد القرآنية كأن تكون قراءة قرآنية ، أوالشعرية ، أو من النثر الفني ، ولم يذكر أنه سمعها ممن يوثق بعربيته أو حدّثها به أحد كما معروف عنه إذا أراد التأصيل ، كقوله في (باب

(٢٠) المهذب في علم التصريف : ٦٧ .
(٢١) المصدر نفسه : ٦٨ (الهامش) . وينظر : أوزان الفعل ومعانيها : ٢٦ .
(٢٢) شرح شافية ابن الحاجب : ٧١/١.
(٢٣) ينظر : الكتاب : ٦٨/٤.
(٢٤) ينظر(مثلا):أبنية الصرف في كتاب سيبويه:٤٢١، دروس التصريف:٦٢، عمدة الصرف:١٦،المغني في تصريف الأفعال: ١٤٥

الفعل يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول...):"وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به : اجتمعت أهل اليمامة ، لأنه يقول في كلامه : اجتمعت اليمامة..."(٢٥) ، وكقوله في (باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره...) : "...وهذه حجج سمعت من العرب وممن يوثق به ، يزعم أنه سمعها من العرب...حدّثنا أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب ...وحدّثنا من يوثق به أن بعض العرب..."(٢٦) ، وكقوله في (باب إضافة المنادى إلى نفسك) :" وزعم الخليل رحمه الله أنه سمع من العرب من يقول : يا أمة لاتفعلي..."(٢٧)، وكقوله في (باب أسماء الأرضين) : " وسمعنا من يقول : كجالب التمر إلى هجر يافتى"(٢٨)، وكقوله في (باب التضعيف في بنات الياء...): " وسمعنا بعض العرب يقول : أعييء و أحيية ، فيبين "(٢٩)

أثر الشواهد اللغوية في استعمال صيغة المغالبة:

إنّ للشاهد القرآني والشعري والنثري أهمية كبيرة ، " والذي استقر عليه الرأي بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها في تقعيد قواعد اللغة ، ولا خلاف بينهم في هذا ، أما حين نظروا إلى المروي من الشعر العربي فقد اجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلي كشعر زهير و طرفة و امرئ القيس وأمثالهم ، كما يحتج بشعر المخضرمين...كحسان بن ثابت وأمثاله ، وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثاني الهجري كأمثال جرير والفرزدق والأخطل...أما حين نظر العلماء إلى ما يسمع من القبائل من كلام منثور فقد وجدناهم يأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر "(٣٠) . وقد نوه بعضهم إلى أهمية الشاهد في مقدمة كتبهم ، يقول (الأزهري ت ٣٣٧هـ) : "جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها واستقصيت في تتبع ما حصلت منها ، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها "(٣١).

---

(٢٥) الكتاب : ١/ ٥٣ .
(٢٦) المصدر نفسه : ١/ ٢٥٥.

(٢٨) المصدر نفسه : ٢٤٤/٣.
(٢٩) المصدر نفسه : ٣٩٧/٤.
(٣٠) في اللهجات العربية : ٤٣ ـ ٤٥ .
(٣١) تهذيب اللغة (المقدمة) : ١/ ٦.

وقد كان العلماء يتفاخرون بحفظ الحجج والشواهد النحوية ، فيروى عن الأصمعي (ت ٢١٦هـ) أنه قال : "سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة"(٣٢) ، وقال ثعلب (ت٢٩١هـ) : إن " علي بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤ هـ) كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو "(٣٣). ومما تنقله كتب الطبقات أيضا أن أبا بكر الأنباري " يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن "(٣٤).

إنّ أهمية الشاهد تأتي من أن النحويين يقيمون كتبهم عليها " وكلما كانت الشواهد صحيحة مستقاة من أفواه العرب الفصحاء كان الكتاب مقبولا لدى العلماء "(٣٥)، وحتى القبائل التي يأخذون منها فإنهم وضعوا معايير وأسسا ومراتب كي يستشهدوا بأقوال أفرادها فلم يأخذوا من أهل الحضر ولا ممن اختلط بغيره من الأمم المجاورة،يقول (الفارابي ت ٣٣٩ هـ) : " وكان الذي تولى ذلك من أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق . فتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر ، ثم من سكان البراري من كان في أواسط بلادهم ومن أشدهم توحشا وجفاء وأبعدهم إذعانا وانقيادا ، وهم قيس وتميم وأسد وطي ثم هذيل ، فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب ، والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم..."٣٦

وفضلا عن وصف (ابن جني) المغالبة بالطرافة ، وغياب الشاهد الشعري أو القرآني ، أو النثري ، أو نسبتها إلى ما يعتد بلغتها من القبائل ، عن تقعيد صيغة هذا الباب وهي : ضم (عين المضارع) المكسورة في الأصل ، وأن هذا الباب ليس قياسا بحيث يجوز نقل أي فعل إليه، فقد ذكروا أن أفعال الباب الذي تنتمي إليه أفعال المغالبة . باب فَعَل يفْعِل . (بفتح عين الفعل الماضي وكسرها في المضارع) ، ذكروا أنها لا تلتزم حركة واحدة من غير أن يذكروا معنى المغالبة ، يقول (سيبويه):" وإذا قلت فَعَل ثم قلت يفْعِل علمت أن أصله الكسر والضم إذا قلت فَعَل "(٣٧)، ويروى عن أبي زيد الأنصاري قوله : " طفت في عُليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل

(٣٢) وفيات الأعيان : ٣ /١٣٦٠ .
(٣٣) إنباه الرواة : ٢ / ٢٠٢ .
(٣٤) طبقات النحويين : ١٧١ ، معجم الأدباء : ١٨ / ٣٠٧ .
(٣٥) الشواهد والاستشهاد في النحو : ٢٥ .
(٣٦) كتاب الحروف : ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣٧) الكتاب : ٤ / ١٠٤ .

عن باب فَعَل يفْعِل ويفْعُل(بالضم والكسر) لأعرف ما كان منه بالضم أوْلى وما كان منه بالكسر أوْلى فلم أجد لذلك قياساً وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستحفّ لا على غير ذلك "(٣٨)، أي إن مرد هذه الظاهرة اللغوية إلى الخفة والاستحسان،ولا ضابط للنطق بهذه الأفعال ، مما يدفع الباحث إلى القول بأنها قد تكون مما يمكن تسميته بـ : (الترف اللغوي) الذي انماز به العرب الفصحاء لسعة العربية وغزارة مفرداتها وأساليبها بحيث يختار المتكلم ما يروق له ويحلو ، أو قد تكون لهجة لقوم فصحاء بلغاء سوى غيرهم من الناس ، ويرجع سبب عدم عزوها أو نسبتها إلى قبيلة بعينها إلى : (الفوضى اللغوية) التي رافقت عمل اللغويين الأوائل في خلطهم بين اللهجات . بحسب تعبير الدكتور(إبراهيم أنيس)، ؛لأنهم برأيه " تلقفوا تلك الصيغ من لهجات عربيةٍ ٍٍمتباينة خضعت كل منها لقاعدة خاصة في اشتقاق المضارع من الماضي ... وكل هذا كان مصدره أن الرواة كان همّهم الجمع اللغوي ، فلم يفصلوا بين لهجة وأخرى ، بل كانوا يلتقطون ما يسمعون من الألفاظ ويسجلونه بدون مراعاة لتنظيمه حسب نطق القبائل "(٣٩).

ومما يؤيد هذا . أيضا . أنه قد " ورد عن الفراء أن الناس قرءوا قوله تعالى:((وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا)) المجادلة : ١١، بكسر الشين ، وأما أهل الحجاز فيرفعونها "(٤٠)، وأن (ابن عامر) و (أبا بكر) قرءا قوله تعالى ((وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ)) الأعراف : ١٣٧ : " بضم الراء وباقي السبعة والحسن ومجاهد وأيوب وجابر بكسرالراء ، وهي لغة الحجاز "(٤١).

أو أن يكون الضم من القبائل البدوية ، لأن الضم سمة من سمات نطق البدو وهي علامة الخشونة وصعوبة العيش وتحمل مشاق الحياة بعكس الكسر الذي تميل إليه القبائل المتحضرة التي تسكن المدينة (٤٢). ذلك أن صوت الضمة يحتاج في تكونه جهدا عضلياً أكثر مما في أصوات المد الأخرى . على اعتبار أن الحركات أصوات مد قصيرة . حيث يتكون بتحرك أقصى اللسان الذي يكون أشد على الناطق من تحرك أدناه (٤٣). وهذا مناقض لقانون السهولة والجهد

(٣٨) المزهر : ١ /٢٠٧ ـ ٢٠٨ .
(٣٩) اللهجات العربية في التراث : ٢ /٥٥٨ ـ ٥٥٩ .
(٤٠) لسان العرب (نشز) ٧ / ٢٨٥ .
(٤١) البحر المحيط : ٤ / ٣٧٧ .
(٤٢) ينظر : في اللهجات العربية : ٨١ .
(٤٣) ينظر : الأصوات اللغوية : ٣٣ / ٣٤ .

الأقل الذي يؤكد أن المتكلمين يحاولون تحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد (٤٤)؛ لأن البدوي يميل الى السهولة في النطق إلا في نطق الضمة التي حرص عليها وتمسك بها وأدرك أنها تميزه عن غيره ، حتى أضحت صفة من صفات الخشونة التي تطابقت مع طبيعة حياته وقسوتها ولاسيما عند قبائل (تميم) وقبائل وسط الجزيرة (٤٥).

ولهذا فمن الممكن أن تكون (المغالبة) لهجة لقبيلةٍ ما لم يسمها اللغويون ، أو للبدوي الذي يميل إلى الضم إذ هي نتاج للقوة متمثلا بالغلبة في عز والمفاخرة فيها كما تبين من الأصل اللغوي لهذا المصطلح ، أو أن تكون قد استعملت من ناس قليلين فلم تأت في شعر أو نثر فني.

الخلاصة :

بعد هذا العرض لمصطلح (المغالبة) لغةً واصطلاحاً مروراً بما جاء عنه في أشهر كتب التأصيل اللغوي التي خلت من الشاهد القرآني . حيث لم ترد هذه الصيغة في الذكر الحكيم . أو الشاهد الشعري الذي تفاخر بعض أئمة اللغة بحفظ آلاف منه وبعض بين أهميته في مقدمة كتبهم أو النثري ؛ ولأن لا ضابط لأفعال الباب الثاني(فَعَل . يفعِل) بحيث ينطقها العربي كما يستحسن ويستخفّ ؛ ولأن أمثلة(سيبويه) كانت ملاذاً لمن جاء بعده . كعادتهم . فلم يشبعوها بحثاً أو يناقشوها إلا (ابن جني) الذي استغرب منها ووصفها (بالطرافة) ، خلُص البحث إلى ما يأتي :

أن هذه الصيغة قد تكون من الترف اللغوي الذي انماز به فصحاء العرب وبلغاؤهم ، أو هي نتاج الصنعة النحوية التي تخلو من حكاية الواقع اللغوي الذي يقوم على السماع المباشر أو ممن يوثق بعربيتهم .

أو أن تكون لهجة لقبيلة ما لم يسمها النحويون كما أغفلوا نسبة الكثير من اللهجات إلى أصحابها.

أو نتيجة ميل البدوي إلى الضم ، هذه الحركة التي تعبر عن قسوة حياته وخشونتها.

---

(٤٤) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ٣٧٢ .
(٤٥) ينظر في اللهجات العربية : ٨٥ .

لذا فقد بقيت هذه الصيغة وتطبيقاتها حبيسة كتب النحو والصرف من غير أن نلجأ إلى الإفادة منها في ما أعقب تلك الحقبة اللغوية ، أو أن نتكلم بها في عصرنا ؛ لأن فيها ضرباً من التكلف والتعسف اللغوي إلا إذا أردنا أن نناقش قضية لغوية بنيت على التحول الداخلي للصيغ ، فلا نظن أن هناك فائدة ترتجى من تكرارها في كتب الصرف التعليمية كما يفعل أغلب المحدثين .

مصادر البحث ومراجعه:

القرآن الكريم.

أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ،منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٥ م .

الإشتقاق : عبدالله أمين ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

الأصوات اللغوية : د.إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط ٣ ، ١٩٦١ م

الأصول في النحو : ابن السراج(أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦ هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

أوزان الفعل ومعانيها : د.هاشم طه شلاش ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧١ .

البحر المحيط : أبو حيان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨ م ، مصورة عن طبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨هـ .

التصريف الملوكي : أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق : د. البدراوي زهران ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط ١ ، ٢٠١١م .

تهذيب اللغة : الأزهر ي (أبو منصور محمد بن أحمد ٣٧٠هـ) تحقيق : عبد السلام هارون وآخرين ، القاهرة ، ١٩٦٤ . ١٩٦٧ م .

الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١١هـ = ١٩٩١ م.

دروس التصريف (في المقدمات وتصريف الأفعال):محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الطلائع ، القاهرة ، د.ت.

دور الكلمة في اللغة : (ستيفن أولمان) ، ترجمه وقدّم له وعلق عليه : د.كمال محمد بشر ، المطبعة العثمانية ، ط٣ ، ٢٩٧٢م .

شرح الرضي على الكافية : تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ، ١٣٩٨ هـ =١٩٧٨م .

شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الإسترآباذي (ت ٦٨٦ هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ =١٩٧٥م .

الشواهد والاستشهاد في النحو ، عبد الجبار علوان النايلة ، ط١، بغداد ، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

عمدة الصرف : كمال ابراهيم ، د.ط ، د.ت.

الفهرست : ابن النديم (أبو الفرج محمد بن اسحاق ت ٣٨٠ هـ) ، تحقيق : رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ م .

في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس ، مكيبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٦٥م.

كتاب الحروف :أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي(ت٣٣٩هـ)، قدم له ووضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكيب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م .

الكتاب ، كتاب سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

كتاب العين :لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ،تحقيق : د. مهدي المخزومي و :د.إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ،١٩٨٠ م .

لسان العرب : ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١٦هـ) ، دار صادر، بيروت ، د . ت .

اللهجات العربية في التراث : أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، تونس،١٩٨٦م.

اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د. عبده الراجحي ، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٦٨م.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ ، محمد جاد المولى وآخرين ، دار إحياء الكتب العربية .

معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، نشر : أحمد مزيد رفاعي ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .

المغني في تصريف الأفعال : محمد عبد الخالق عضيمة ، مطبعة العهد الجديد ، ط٢ ، د.ت .

المفصل في صنعة الإعراب : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

المنصف ، شرح تصريف أبي عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ) : أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق :إبراهيم مصطفى و عبدالله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٤م .

المهذب في علم التصريف :د.هاشم طه شلاش وآخرين،جامعة بغداد،بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع،د.ت.

نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة : محمد الطنطاوي ، ط٢ ، د.ت .

وفيات الأعيان : ابن خلكان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، ط٢ ، ١٩٤٨ م.